

الفرق بين الشيعة والرافضة

لا شك أن هناك فرقاً شاسعاً ما بين لفظة شيعة و لفظة رافضة و لفظة إمامية أو إثنى عشرية.

1- الشيعة في كتب المحدثين:

جماعة من الناس كانوا مع علي خلفهم مع الطرف الآخر سياسي بحت. و هم مراتب في قوة خلفهم و حرارته مع مخالفتهم. ليس عند واحد منهم انحراف عقدي أو فقهي. لكن قد يكون بينهم من له ملاحظات قوية على عثمان رضي الله عنه. وليس فيهم من يمس الشیخین أو منزلتهما المقدمة على الجميع. و "قد" يرى بعض أولئك أن خلاف أهل الشام معهم خلاف سياسي المراد منهم المنازعه على الحكم، ومعاوية بذلك باع. لكنهم يقرؤن أنه لما استتب له الأمر و ذهب خصومه، أصبح خليفة عادلاً صاحب جيش و فتوحات هي في صحيفة حسنته. فالتشريع بهذا المعنى وصف وغير في كتب السنة لكثير من الناس، ولا يعتبر ذمياً. ومن التفريط نبذ هذا الوصف و تركه لغيرنا، فإنه وصف سني!

فشريك بن عبد الله القاضي كان معروفاً بالتشيع. مع ذلك قال: «إحمل (أي الحديث) عن كل من لقيت إلا الرافضة، فإنهم يضعون الحديث ويستخدمونه ديناً». و الفرزدق (ت 611هـ) مثلاً كان يمدح أهل البيت كثيراً حتى أن عبد الملك سجنه مرة بسبب تحديه له في ذلك. و مع ذلك فهو يهجو السنية، فيقول في قصيدة شهيرة له:

كأن على دير الجمام حصائد أو أعيجاز نخل تَقْعُرا
تَعَرَّفُ همدانية سببية وتُكَرِّهُ عينيها على ما تَنَكِّرَا
رأته مع القتلى وغير بعلها عليها تراب في دم قد تعَرَّفَا
أراحوه من رأس وعينين كانتا بعيدن طرفاً بالخيانة أحزرا
من الناكثين العهد من سببية وإما زيري من الذئب أغدرا
ولو أنهم إذ نافقوا كان منهم يهوديهم كانوا بذلك أعدرا

2- الرافضة عند المحدثين:

هم قوم كانوا مثل الشيعة ثم زادوا عليهم رفض الشیخین (أبي بكر و عمر) و كثير أو بعض الصحابة الأوائل أصحاب السابقة. و رفض الشیخین يعني: إما بغضهما، أو أردى منه: شتمهما، و اعتقاد أن علياً كان صاحب الخلافة وأنهما سلباء إياها. و في تكفيرهم خلاف و الجمهور (بما فيهم أبي حنيفة و مالك و أحمد) على كفرهم.

3- الشيعة اليوم:

تساوي الإثنى عشرية، أو الإمامية. و هؤلاء هم في الأصل رافضة أضافوا لبدعتهم بدعاً كفريّة مثل القول بعصمة الأئمة و تقديمهم على الأنبياء والمرسلين، و اتهام أم المؤمنين عائشة ، و تكفير أو تفسيق عامة الصحابة، و القول بالرجعة و البداء. و هؤلاء يعتقدون على كفر من قال بمعتقداتهم، بل إن بعض العلماء كفّر من توقف في كفرهم. إذاً فتسمية الإثنى عشرية اليوم بالرافضة هي تسمية غير دقيقة، لأن هذا الاسم لا يصفهم بكافة أوصافهم، و يدخل معهم غيرهم من لم يعتقد بعقائدهم الكفريّة. وإنما أنت إلى ذلك لأن الشيعة المعاصرین يستغلون خلط عوام السنة في هذه الاصطلاحات، فيستخدمونها ذريعة لدعوتهم للتشيع.

و مع ذلك فإن هذا الغلو في الرفض والتشييع بدأ منذ الأيام الأولى على يد ابن سبا اليهودي. فلذلك كان علي بن أبي طالب يحذر الناس من هذا الفرقة التي تدعى حب أهل البيت زوراً، لتصل بال المسلمين للكفر والإلحاد كما فعل بولص بالنصارى عندما أقنعهم بالوهية المسيح عيسى بن مريم. فيقول علي في خطاب له للخوارج: «وَسَيَهُكُّ فِي صِنْفَانِ: مُحَبٌ مُغْرِطٌ يَذَهَّبُ بِهِ الْحُبُّ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ، وَمُبْغِضٌ مُغْرِطٌ يَذَهَّبُ بِهِ الْبَغْضُ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ. وَخَيْرُ النَّاسِ فِي حَالٍ، النَّمَطُ الْأَوْسَطُ فَأَنْزَمُوهُ، وَالْزَّمُوْ السَّوَادُ الْأَعْظَمُ فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفَرْقَةَا! فَإِنَّ الشَّاذَ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ، كَمَا أَنَّ الشَّاذَةَ مِنَ الْغَنَمِ لِلذِّئْبِ».

و الثابت تاريخياً عن السنة والشيعة أن الناس على زمنه كانوا ثلاثة فرق:

- 1- أهل السنة والجماعة: و هم السواد الأعظم والوسط الذين أحبوا علياً ولم يفرطوا به.
- 2- الشيعة: و هم الفرقة الذين غلو في حب علي حتى ذهب بهم الحب إلى غير الحق.
- 3- الخوارج: و هم الفرقة الذين أبغضوا علياً حتى ذهب بهم البغض إلى غير الحق.

فأثبت علي هلاك الفرقتين الشيعة والخوارج، و دعى للتراحم منهج أهل السنة والجماعة، و للتزام السواد الأعظم من المسلمين.

والذي أسس فرقة الشيعة الإمامية

هو عبد الله بن سبا بن وهب (الحميري أو الهمداني) اليهودي المعروف بابن السوداء لأن أمّه كانت عبدة جبشية سوداء، و كان لونه أسود أيضاً كان أسود اللون، و هو يهودي ماكر من أهل صنعاء. و كان بارعاً في تقمص الشخصيات المختلفة و نسج المؤامرات بالخفاء، و قد أحاط نفسه بطار من الغموض والسرية التامة حتى على معاصريه فهو لا يكاد يعرف له اسم و لا بلد، لأنّه لم يدخل في الإسلام إلا للκκιδ له، و حياكة المؤامرات و الفتنة بين صفوف المسلمين. و يجمع المؤرخون على أنه أول من دعى للرفض و الغلو بالتشييع و لعن الشيختين و القول بالرجعة بل بالوهية علي بن أبي طالب.

و قد اعترف بهذا كبار الشيعة و مؤرخوهم. فهذا هو الكشي يقول ذلك في كتابه "الرجال": «و ذكر بعض أهل العلم أن عبد الله بن سبا كان يهوديا فأسلم، و والى عليا (ع). و كان يقول و هو على يهوديته في يوش بن نون وصي موسى بالغلو، فقال في إسلامه بعد وفاة رسول الله ﷺ في علي مثل ذلك. و كان أول من أشهر القول بفرض إمامية علي، و أظهر البراءة من أعدائه و كاشف مخالفيه، و كفّرهم. و من هنا قال من خالف الشيعة، إن التشيع، و الرفض، مأخذو من اليهودية». و نقل المامقاني -إمام الجرح و التعديل- مثل هذا عن الكشي.

ويقول النويختي الإمامي في كتابه "فرق الشيعة": «عبد الله بن سبا كان من أظهر الطعن على أبي بكر، و عمر، و عثمان، و الصحابة، و تيرا منهم، و قال إن علياً أمره بذلك. فأخذته علي، فسألها عن قوله هذا، فأقرّ به، فأمر بقتله.

فصاح الناس إليه: يا أمير المؤمنين! أقتل رجلاً يدعوا إلى حبكم، أهل البيت، وإلى ولادتكم، و البراءة من أعدائكم؟". فسيره (علي) إلى المداشر (عاصمة فارس آنذاك). و حكى جماعة من أهل العلم من أصحاب علي ، إن عبد الله بن سبا كان يهوديا فأسلم، و والى عليا . و كان يقول و هو على يهوديته في يوش بن نون بعد موسى ¹¹ بهذه المقالة، فقال في إسلامه بعد وفاة النبي في علي بمثل ذلك. و هو أول من أشهر القول بفرض إمامية علي ، و أظهر البراءة من أعدائه، و كاشف مخالفيه. فمن هناك قال من خالف الشيعة أن أصل الرفض مأخذو من اليهودية. و لما بلغ عبد الله بن سبا نعي علي بالمدائن، قال للذى نعاه: "كذبت. لو جثتنا بدماغه في سبعين صرة، و أقمت على قته سبعين عدلاً، لعلمنا أنه لم يمت، و لم يقتل، و لا يموت حتى يملك الأرض"».

وذكر مثل هذا مؤرخ شيعي: «أن عبد الله بن سبا توجه إلى مصر حينما علم أن مخالفيه (عثمان بن عفان) كثيرون هناك، فتظاهر بالعلم و التقوى، حتى افتتن الناس به. و بعد رسوخه فيهم بدأ يروج مذهبة و مسلكه. و منه، إن لكلنبي وصياً و خليفة، فوصي رسول الله و خليفته ليس إلا عليا المتحلي بالعلم، و الفتوى، و المتنرين بالكرم، و الشجاعة، و المتصرف بالأمانة، و التقى. و قال: إن الأمة ظلمت علياً، و غصبـت حقـه، حقـ الخلافـة و الـولـاـية، و يلزمـ الآـنـ عـلـىـ الجـمـيـعـ مـناـصـرـتـهـ وـ مـعـاضـدـتـهـ، وـ خـلـعـ طـاعـةـ عـشـانـ وـ بـيـعـتـهـ، فـتـأـثـرـ كـثـيرـ مـنـ الـمـصـريـينـ بـأـقـوـالـهـ وـ آـرـائـهـ، وـ خـرـجـوـ عـلـىـ الـخـلـيـفـةـ عـشـانـ».

و خبر إحرق علي بن أبي طالب لطائفة السبئية، ثابت عن السنة والشيعة، تكشف عنه الروايات الصحيحة في كتب الصحاح والسنن . لكن تعددت الروايات في ذكر مصير عبد الله بن سبا، هل أحرق مع أصحابه؟ أم أنه نفي مع من نفي إلى سبات في المداشر؟

أقول:

الراجح - والله أعلم- أنه نفي إلى سبات. ذلك أنه توجد روايات تذكر أن ابن سبا لم يظهر القول علناً بألوهية علي إلا بعد وفاته، وهذا يؤيد الروايات التي تذكر أنه نفاه إلى المداشر حينما علم ببعض أقواله و غلوه فيه. وقال الإمام الشعبي للإمام مالك يصف الرافضة السبئية: «لم يدخلو في الإسلام رغبة فيه لله ولا رهبة من الله، ولكن مقتاً من الله عليهم وبغيًا منهم على أهل الإسلام». يريدون أن يغمصوا دين الإسلام كما غمض بولس بن يوشع ملك اليهود دين النصرانية. ولا تجاوز صلاتهم آذانهم. قد حرّقهم علي بن أبي طالب بالنار و نفاه من البلاد. منهم عبد الله بن سبا، يهودي من يهود صناع، نفاه إلى سبات. وأبو بكر الكروس، نفاه إلى الجايبة. وحرق منهم قوماً أتوا فقالوا أنت هو. فقال من أنا؟ فقالوا أنت ربنا! فأمر بنار فاجت فالقو فيها. وفيهم قال علي :

لما رأيت الأمر أمراً منكراً أجبت ناري و دعوت قنبراً

و ذكر البغدادي أن: «السبئية أظهروا بدعتهم في زمان علي ، فأحرق قوماً منهم، و نفي ابن سبا إلى سبات المداشر، إذ نفاه ابن عباس عن قته حينما بلغه غلوه فيه، وأشار عليه بنفيه إلى المداشر حتى لا تختلف عليه أصحابه، لا سيما وهو عازم على العودة إلى قتال أهل الشام »

و كان علي يجاهر بلعنه و شتمه و يفضح أمره أمام الناس. و كان ابن سبا يدعي أن الرسول قد أوصى قبل مماته لعلي بن أبي طالب من بعده. و كان علي ينكر ذلك جهارة، فيصرّ ابن سبا على ادعائه! و عن أبي الجلاس قال: سمعت عليا يقول لعبد الله السبئي: «و يلک، ما أقضى إلى رسول الله بشيء كتمته أحداً من الناس. و لقد سمعته يقول "إن بين يدي الساعة ثلاثين كذاباً" ، وإنك أحدهم ». و قال علي : «ليحبني قوم حتى يدخلو النار في، و ليبغضني قوم حتى يدخلو النار في بغضي ». و قال أيضاً من على المنبر: «اللهم العن كل مبغض لنا غال، و كل محب لنا غال»

و قد يتسائل سائل لماذا لم يحرق علي ابن سبا، أو حتى لم يعاقبه بحبسه، و اكتفى بنفيه، مع عظم دعواه و شناعة رأيه فيه، حيث تركه يعيش في الأرض فساداً و يدعو إلى الوهية أو نبوته أو وصايته أو التبرؤ من أصحاب الرسول ، ثم يكتفي بنفيه فقط إلى عاصمة الفرس المداشر، و هو يعلم أنه باق على غلوه، و أنه سيفسد كل مكان سيصل إليه؟!

ولعل الجواب :

أن علي تركه لعدم ثبوت تلك الأقوال عنده، لأن ابن سبا كان يرمي بشبهه من خلف ستار. و خاف إن قتله أن يثير أتباعه عليه، و هم يشكلون جزءاً كبيراً من جيشه. و لعلّ ابن سبا لم يجاهر بكتفه و أفكاره الباطنية إلا بعد موت علي ، إذ قال لمن أوصل له خبر نعيه: «لو أتيتنا بدماغه في سبعين صرة ما صدقناك، و لعلمنا أنه لم يمت، و إنه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاهم».

ذكر الصفدي في ترجمة ابن سبا: «ابن سبا رأس الطائفة السبئية...، قال لعلي أنت الإله، فنفاه إلى المداشر. فلما قتل علي ، زعم ابن سبا أنه لم يمت لأن فيه جزءاً إليها و أن ابن ملجم قتل شيطاناً تصور بصورة علي ، و أن علياً في السحاب، و الرعد صوته و البرق سوطه، و أنه سينزل إلى الأرض». و رغم تفاهة هذه الدعوى، إلا أنها وجدت مؤيدين و مناصرين من وصفهم الله تعالى بقوله: (أولئك كالأنعام بل هم أضل، أولئك هم الغافلون.)

و لا نعلم متى قُتِلَ ابن سباً هذا، إذ اختفى تماماً بعد مقولته تلك. و لم نسمع عن جماعته السبئية حتى أيام فتنة ابن الزبير عندما خرج المختار و تبنى أفكار تلك الطائفة، ثم قتله مصعب بن الزبير مع سبعة آلاف من أنصاره. و الغريب أننا لم نسمع يابن سباً هذا أثناء خروج المختار، فلعله قُتل قبل ذلك. و هذا الذي ذكرت لا يعني أنه لم يقتل بيد غيره، لأننا نعلم بأن جميع من شارك أو أعاون في قتل عثمان قد قتل، و إن الله عز وجل لم يهمل الظالمين، بل أذلهم و أخزاهم و انتقم منهم فلم ينج منهم أحد. و أخرج أحمد ياسناد صحيح عن عمرة بنت أرطاة العدوية قالت: «خرجت مع عائشة سنة قتل عثمان إلى مكة، فمررنا بالمدينة ورأينا المصحف الذي قتل و هو في حجره، فكانت أول قطرة من دمه على هذه الآية (فسيكيفيكم الله و هو السميع العليم)، فما مات منهم رجل سويًا» و قال الحسن البصري:

«ما علمت أحداً أشرك في دم عثمان و لا أعاون عليه إلا قتله

و على أية حال فإن وجوده في المداشر -عاصمة الفرس السابقة- يجعلنا نتيقن أن الغالبية العظمى من أنصاره، هم من

الفرس المجنوس الناقمين على الإسلام الذي قوض دولتهم. وبعد الحدث الأليم الذي أودى بحياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، راح المجنوس يدفعون أنصاراً على لقتال بنى أمية كما مرّ معنا، خاصة في صفوف المختار. و وجدت الدعوات الباطنية فراغاً فأخذت تنشط حتى أستفحلاً أمرها.

ولذلك كان أروع ما وصف به التشيع أنه «بذرة نصرانية، غرستها اليهودية، في أرض مجنوسية». و يؤيد هذا ما رواه الإمام أحمد عن عَلَيْ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: «دُعَانِي رَسُولُهُ، فَقَالَ إِنَّ فِيكَ مَنْ عَيْسَى مَذْلًا: أَبْغَضْتَهُ يَهُودٌ حَتَّىٰ بَهْتُهُ أَمَّهُ، وَأَحَبَّتَهُ النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ أَنْزَلُوهُ بِالْمَنْزَلِ الَّذِي لَيْسَ بِهِ». أَلَا وَإِنَّهُ يَهْلُكُ فِي اثْنَانِ: مَحْبٌ يَقْرَظُنِي بِمَا لَيْسَ فِيِّي، وَمُبْغَضٌ يَحْمِلُهُ شَنَانِي عَلَىٰ أَنْ يَبْهَتْنِي. أَلَا إِنِّي لَسْتُ بِنَبِيٍّ وَلَا يُوَحِّي إِلَيَّ، وَلَكِنِّي أَعْمَلُ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُتُّهُ نَبِيٌّ^٢ مَا أَسْطَعْتُ فَمَا أَمْرَتُكُمْ مِّنْ طَاعَةِ اللَّهِ، فَحَقٌّ عَلَيْكُمْ طَاعَتِي فِيمَا أَحَبَّتُمْ وَ كَرِهْتُمْ».

و قد وجدت أفكار ابن سينا أرضًا خصبة عند المجنوس (و هم حلفاء اليهود عبر التاريخ). إذ أن الرعامة الدينية عند المجنوس الفرس، كانت تمثل في قبيلة تسمى «ميديا». وفي عصر زارداشت أصبحت في قبيلة «المغان». و رجال قبيلة «المغان» هم ظل الله في الأرض، وقد خلقوا لخدمة الآلهة. و الحاكم يجب أن يكون من هذه القبيلة، و تتجسد فيه الذات الإلهية، و تتولى القبيلة شرف سداناً بيت النار. فعبادة الله عن طريق القبيلة (المقدسة) هو الذي دفع الفرس إلى التشيع لآل البيت، لا حباً لآل البيت، ولكنهم وجدوا أن هذه هي الطريقة المضمونة لكي يبيشو سموهم من خلالها في بلاد المسلمين، كما أن هذا التصور يلائم عقيدة المجنوس.

و نجد أيضاً تشابهاً كبيراً بين التقية عند الشيعة (أو ما يسمى بالدين الباطنية)، وبين السرية التي هي أصل من أصول عقائد المجنوس. فالزردشتيون استمروا يعملون و ينشطون بكل سرية بعد أن تعرضوا للاضطهاد على أيدي أتباع مزدك. و المانوية تحولت إلى حركة سرية بعد أن بطش بهرام بن هرمز بهم والمزدكية أصبحت دعوة سرية بعد أن نكل بهم أنو شروان. و مع السرية، كانت أديان الفرس منظمة تنظيمياً هرمتا دقيقاً يراعون به ظروف العصر. و كانت تنظيماتهم من القوة بحيث تمكنتهم من الوصول إلى قصور الحكام في حالات ضعفهم. أما في غير حالات الضعف فالحكام من أفراد القبيلة التي ترعى شؤون الدين.

و قد أخذ الشيعة أيضاً الإباحية الجنسية و المتعة و استعارة الفروج و اللواط و المخدرات و غير ذلك من الأمور المستشنة من مذهب مزدك المؤيد المجنوس. و هو مذهب كان منتشرًا في بلاد الفرس وأثر كثيراً في ثقافتهم. و حتى لا يتهمنا أحد بالمبالغة، فإليك معتقدات الشيعة في المتعة مع التوثيق من أهم مراجع الشيعة المعاصرين:

- 1- الإيمان بالمتعة أصلاً من أصول الدين، ومنكرها منكر للدين
- 2- المتعة من فضائل الدين و تطفئ غضب رب
- 3- المتعة من النساء مغفور لها.
- 4- المتعة من أعظم أسباب دخول الجنة، بل إنها توصلهم إلى درجة يجعلهم يزاحمون الأنبياء مراتبهم في الجنة
- 5- حذرو من أعراض عن التمتع، من نقصان ثوابه يوم القيمة، فقالوا «من خرج من الدنيا ولم يتمتع، جاء يوم القيمة وهو أجذع (أي مقطوع العضو)».
- 6- ليس هناك حد لعدد النساء الممتنع بهن. فيجوز للرجل أن يتمتع بمن شاء من النساء ولو ألف امرأة أو أكثر
- 7- جواز التمتع بالبكر ولو من غير إذن ولديها، ولو من غير شهود أيضاً.
- 8- جواز التمتع بالبنت الصغيرة التي لم تبلغ الحلم، حتى الرضيعة
- 9- امرأة المتعة لا ترث ولا تورث.
- 10- يرون جواز التمتع بالعاهرة المشهورة بالزنزا.
- 11- و يرون أيضاً جواز إعارة الرجل جاريته لصديقه ليقضي وطره منها! و يسمون ذلك (إعارة الفروج).

و كذلك نلاحظ أن تاريخ المجنوس ممتد بالشغب والثورات والتآمر. و في هذه الفتنة يقتل الأخ أخيه، و الابن أبيه، دون رحمة أو شفقة. و عندما يشعر الملوك بالخطر كانوا ينقضون على الأنبياء المزعومين فيقتلونهم، فهرام قتل ماني، و كسرى قتل مزدك. و من هذه النقطة نعلم سبب إثارة الشيعة لفتنة و القلاقل، و مدى عشقهم للدماء، فإنما ذلك

ميراث ورثوه من المجروس. كما نعلم لماذا كانوا و ما زالو يُصفّون خصومهم عن طريق الاغتيالات.
والله المستعان ونسأل الله أن يطهر الأرض منهم أنه نعم المولى ونعم النصير.

كاتب المقالة : الشيخ/محمد فرج الأصفر

تاريخ النشر : 25/10/2010

من موقع : موقع الشيخ محمد فرج الأصفر

رابط الموقع : www.mohammdfarag.com